الفجر

مجلة شهرية

العدد التجريبي - صفر ١٤٣٣ / كانون الثاني ٢٠١٣

ممارسة العمل السياسي مع التزام المبادئ

واقع الشباب بين الثورة والجماعة

يسمعون حسيسها

facebook.com/alfajr.mg || alfajr.mg@gmail.com

العدد التجريبي - صفر ١٤٣٣ / كانون الثاني ٢٠١٣

المحتويات

- الافتتاحية ‖ عمار يحيى الضايع 3
- الثورة السورية: مراجعات ‖ د. عبد الكريم بكار 4
- facebook 5
- ممارسة العمل السياسي مع التزام المبادئ ‖ د. عامر منير الغضبان 6
- خلف من أنت؟ ‖ مصعب الإبراهيم 8
- كلمات في حرية الرأي والتعبير ‖ سليم عبد القادر 10
- من فتاوى المرحلة ‖ رابطة العلماء السوريين 12
- واقع الشباب بين الثورة والجماعة ‖ حسان الصفدي 15
- يسمعون حسيسها ‖ د. أيمن العتوم 16
- البطولة العجيبة ‖ محمد عادل فارس 18
- استعباد الروح ‖ سيد قطب 20

المقالات المنشورة تعبر عن آراء كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة

الافتتاحية

نحو ربيع فكري

عمار يحيى الضايع

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين..

لعل أهمّ إنجاز حققته ثورات الربيع العربي هو أنها أيقظت الأمل في نفوس يائسة عاشت حياتها كلها في مستنقع آسن من الظلم والفساد والاستبداد.

لقد أنهضت الثورات العربية الأمل في نفوسنا بعد أن كنا دفناه وتقبلنا فيه العزاء، وصارت منية الأماني أن يحمل المرء جنسية بلد آخر، جنسية «محترمة» تقيه شرّ الهوان والظلم في «وطنه».

نعم.. قام الربيع العربي معجزا لكل ذي نظر، دون رأس تقوده أو خطوات تمهد له، قيام الربيع في المرج المقفر، تنبثق براعمه وورود معًا من كل أرض قاحلة وشجرة جراداء وغصن ميت.

قام الربيع، والمنادون به من زمان هم من أكثر الغافلين عنه، وزال الطغاة عن رؤوس الممالك، وانبعث الأمل ودبَّ في شرايين اليائسين فخرجوا من رقدتهم يصلحون الأرض ويحيون الحرث والنسل.

لكنَّ الخطوات الأولى تعثرت، وبعض تعثرها كان كبيرا يهدد بانطفاء شعلة الأمل.. لا يُنكَر أن لأذناب الأنظمة البائدة –وقد كانوا أكثر تفاجؤًا بالربيع– نشاطا «مسعورا» في محاولة وأد أي نجاح له، وهذا متوقع منهم، لكن الأهمّ أننا وجدنا أنفسنا «ضعفاء» غير مؤهلين «كفاية» للقيام بأعباء ترقيع نحو نصف قرن بل يزيد من خروق الفساد والظلم، وهذا لا يعني أبدا أن الطغاة البائدين كانوا مؤهلين.

لعل الدرس الثاني الذي نستفيده من الثورات العربية، بعد درس الأمل، هو: أنه لا يكفي أن تطيح بنظام فاسد حتى تحقق النهضة والإصلاح والمجتمع المطمئن، وقد ظهر هذا جليا في مصر، إذ أوشك الناس أن يعيدوا انتخاب رئيس لهم من «الفلول» وفورة ثورتهم لم تهدأ بعد!

وكما قامت ثورة «سياسية» غيرت حكام السوء، فلا بد أن تقوم ثورة ذاتية في كل مجتمع من مجتمعاتنا الصغيرة، وفي كل أسرة بل في كل فرد، تغيّر ما نشأنا عليه في عهود الشتاء، وتُصلح الفساد الموجود في المجتمع بعد أن زال رعاته، بل بعد أن ضعفت سطوتهم، فإننا إن لم نتدارك أنفسنا رجعنا القهقرى، كأنك يا أبا زيد ما غزيت!

ولأن التغيير إنما يبدأ بالفكرة، كان لا بدّ أن نشهد نشاطا فكريا واسعا، يزلزل أفكار الخنوع التي كانت معشعشة في عقولنا، وينبثق بفكر جديد، راسخ المبادئ مناسب لما نعيشه في هذا العصر.. ومما يلفت الانتباه أن أكثر ما نقرؤه من كتب فكرية إنما هو من نتاج القرن الماضي بل منتصفه!!

ولأن «الفجر» هو انفجار الظلمة عن صبح، جاءت مجلتنا هذه «الفجر» مساهمة في بذر الأفكار ونشرها، رجاء أن تنمو أشجارا باسقات لها طلع نضيد.

والله من وراء القصد..

الثورة السورية || مراجعات

د. عبد الكريم بكار

من موقعه | drbakkar.com

دخلت الثورة السورية شهرها العشرين، وخلال هذه المدة الطويلة والمملوءة بالدم والهدم كما أنها مملوءة بالبطولات والأمجاد، حدثت تغيرات كثيرة في النفوس والقلوب والعقول، ولا بد لنا من التوقف عندها وبكامل وعينا حتى نتأكد من أننا مازلنا نسير في الطريق الصحيح:

العمل الميداني العسكري والإغاثي في الداخل ضخم جداً، وقد بُذلت جهود كبيرة لتنظيمه والارتقاء به، لكن يلاحظ أن حلقات الارتباط بين المدنيين والعسكريين والكتائب المقاتلة ليست قوية بالقدر الكافي.

التجربة العالمية –ومنها التجربة الإسلامية بالطبع– تقول إنه في حالة الثورات المسلحة ينبغي أن تكون القيادة العامة للمدنيين المنظمين تنظيماً عالياً والقادرين على فهم متطلبات انتصار الثورة والقادرين على فهم الوضعية العالمية والإقليمية السائدة من أجل توفير تلك المتطلبات.

في الثورة السورية حدث هذا في الخارج من خلال المجلس الوطني في الماضي، ويحدث اليوم من خلال الائتلاف الوطني، أما في الداخل فقد تمكن أنصار الثورة المجيدة من تشكيل بعض المجالس المحلية، وبعضها استطاع فعلاً بسط سلطته على المحافظة التي يديرها، ووضع فعلاً المسلحون أنفسهم تحتَ إمرة القائمين على تلك المجالس، لكن هذا لم يحدث في جميع المناطق، ويمكن أن ينتج عنه شر عظيم.

إن التجربة تقول: إنه لا ينبغي إعطاء المال لقادة الألوية والكتائب، لأن المال مع السلاح قد يحوِّلان بعض الناس إلى زعماء حرب ينسون أهداف الثورة، وأنهم في الأساس جنوداً في سبيل تحقيقها، ويتصرفون على أنهم أصحاب قدرة ونفوذ وسلطان، ولهذا فليس أمام من في مناطقهم سوى الخضوع لهم.

هذا حصل في سورية، في أماكن محدودة، وإذا لم يتم تداركه فقد يستشري، ويصبح مشكلة كبرى.

ومما يؤسفني قوله: إن الداعمين من الخارج أسهموا في هذا إسهاماً كبيراً!

كلي أمل أن تسهم مساعي قيادة الائتلاف في تشكيل مجلس عسكري أعلى في التخفيف من هذه الظاهرة.

الذين يحملون السلاح في سورية هم الذين يحملون القسط الأكبر من أعباء الثورة، وليس بعد تعريض النفس للمخاطر المحدقة من شيء يمكن أن يقدمه أي إنسان، لكن يلاحظ أن بعض العسكريين والمسلحين لم يقتصروا على بذل الجهد العسكري، وإنما صاروا يتحدثون عن مستقبل الدولة، وهم يتحدثون عن شكل دولة معين مستعدين للقتال من أجله! هذا يُشكل مأزقاً حقيقياً للثورة، وذلك لأن الخبرة تُعلمنا أن التفكير في شكل الدولة و منطلقاتها قبل تحقيق النصر يكون عامل شرذمة وانقسام، بل قد يدفع في اتجاه الاقتتال بين الثوار أنفسهم، وهذا هو أسوأ ما يمكن تخيله.

أنا أعرف أن السوريين سيختلفون اختلافاً واسعاً حول العديد من مواد الدستور- كما حدث في بلدان الربيع العربي. لكن هناك فرق بين الخلاف قبل سقوط النظام والخلاف بعد سقوطه.

حين يسقط النظام وتتشكل حكومة انتقالية، فإن الخلاف يمكن أن يكون فكرياً وثقافياً حيث يتم الاحتكام في حله إلى وسائل غير عنيفة، وليس الشأن كذلك في مرحلة ما قبل سقوط النظام.

في اعتقادي أن الائتلاف قد تمكن من توضيح أهم الخطوط الحمر في نظر الثوار

خاصة والشعب السوري عامة، ومنها:

١. لا مفاوضات ولا حوار مع النظام، وتم تجاهل الحديث عن التفاوض مع بعض أركان النظام على نقل السلطة.

٢. لا شأن للائتلاف بالدستور الدائم للبلاد، فهذا من شأن مؤتمر الحوار الوطني الذي يتم تشكيله بعد سقوط النظام، وقد كان هذا شيئاً جيداً حيث إنه لا يصح وضع (مبادئ ما فوق دستورية) لأي دستور قادم، فالشعب السوري هو وحده الذي يقرر ذلك عبر هيئاته المنتخبة.

٣. ليس هناك بديل عن إسقاط النظام بكل رموزه وأركانه وتفكيك أجهزته العسكرية والأمنية ومحاسبة المسؤولين عن سفك الدماء.

هذا هو الحد الأدنى للتعامل مع نظام قتل العباد وخرب البلاد، وإذا كان الأمر كذلك فإن على الثوار بجميع أطيافهم أن يقدموا الدعم الأدبي والمعنوي للائتلاف الوليد، وأن يكفوا عن التشكيك فيه، فالمسلم لا يبني مواقفه على الشكوك والشائعات والنوايا، وإنما على الواضح والمكتوب والمعلن.

الثورة السورية قريبة من تحقيق إنجاز تاريخي بحول الله، وعلينا أن ندرك أن الانتصار على الأهواء والرغبات والأنانيات لا يقل بحال من الأحوال عن النصر على النظام المجرم والفاسد.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

١٥ / ١ / ١٤٣٤

Facebook

إيمان محمد
fb.com/imaaanmo

دخلَت بيت الشهيد للتهنئة بكل مهابة، سلّمت على أمّه، واختارت مقعداً مقابلاً لها، وبكل ثبات وهدوء عرفت على نفسها، سيدة من الطبقة الراقية، من ذوات العلم والحسب والنسب..

بابتسامة مطمئنة أخبرتنا أنها أيضاً أمّ شهيد..

« أرسلته بنفسي إلى المعركة، وكنتُ أهيء له السّلاح، وأحشو بندقية بالرّصاص، وأشجعه على كل خطوة يسلكها في سبيل الله..

وكان ولدي يقول؛ من للثورة إن لم نكن نحن لها؟!

وكنتُ أقول؛ من للدين يصونه

ويرعاه إن خبّأت كل أم ابنها وضنّت به عن الجهاد»..

قالت لنا.. أنا لن أبكيه، وأبداً لن تروا دموعي، فأنا فخورة جداً به، وسعيدة لأنني نلت هذا الشّرف..

كانت عيناها تدمعان وهي تتحدث، لكن الدموع بدت خجلى من أن تهطل على الوجه المضيء بنور الإيمان..

رفعت سيدة أخرى يدها وقالت.. أنا أيضاً أمّ لشهيد..

كانت في العيون حكايات كثيرة لم تستطع قولها لأن الوقت لم يسمح..

مضينا من هناك وقد كنتُ أحاول التقليب في ذاكرة المدينة.. أتمنى لو صارحتني ذات يوم..

كم أنها تحتشد بالبطولات.. بدفء الذكريات والعبر...

أحمد خيري العمري
fb.com/Ahmedkalomar

نكتة تروى عن المسلمين في أمريكا..

الأول : الإعلام مهم جدا.يجب أن نستخدمه لصالحنا.الإعلام يمكن أن يكون سلاحنا الأهم.

الثاني : هل دخل أي من أولادك الأربعة الإعلام؟

الأول: لا الحمد لله.كلهم أطباء!!

****

ونحن أيضا.

وهيمنة إعلام الفلول-وأشباههم- تذكرنا أن نراجع أولوياتنا..

الإعلام أيضا جهاد..

أحمد دعدوش
fb.com/Ahmad.Dadoosh

سنفتقد الثورة كثيرا بعد رحيلها..

ألا يكفي أن نعيش بطولات أسطورية كنا نحسبها من أكاذيب التاريخ، وبعد أن أقنعونا بأنا أسوأ جيل عرفته الأرض منذ طوفان نوح عليه السلام؟!

ممارسة العمل السياسي مع التزام المبادئ

د. عامر منير الغضبان

تلك قضية كبرى تواجه الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي. كانت هذه القضية من أوائل ما يستحق المعالجة قبل التغيرات التي حدثت بفعل الثورات العربية، أما بعد هذه الثورات فقد أصبحت هذه القضية إطاراً لتساؤلات كثيرة ترن في ذهن كل متصل بالعمل الإسلامي، وتتحدى إمكانات قادة الفكر والعمل في الحركات الإسلامية.

يسأل الكثيرون: **هل يمكن الحفاظ على المبادئ والثوابت أثناء التفاعل مع الواقع السياسي المتحرك**، وأثناء المشاركة في الصراعات السياسية التي تعصف بالمجتمعات؟ وحين رأى الكثيرون صعوبة هذا الأمر انتقلوا لسؤال آخر: **هل الواجب على السياسي الإسلامي أن يحافظ على مبادئ الحركة وإسلاميتها أم أن يحافظ على وجود الحركة ودورها** ومشاركتها في العمل السياسي القائم ومجالات العمل العام الأخرى؟

إن الواقع المتحرك الضاغط الذي نعيشه صنعته قيادات سياسية غير إسلامية في معظمها، ومن هؤلاء من يعجبك قوله، وهو يهلك الحرث والنسل ويفسد في الأرض.

وضغط هذا الواقع هو الذي أفرز هذه التساؤلات، وهذا الضغط المتتابع مع حركة الأحداث جعل الكثيرين من أبناء الحركات الإسلامية يضعون الإجابات من عند أنفسهم، ويقررون مناهج عملهم السياسي دون رجوع لمرجعية شرعية أو رؤية سياسية شاملة. وأمثال هؤلاء عادة هم الذين يسببون الثنائيات الحادة في فكر المجتمعات والتجمعات، وهكذا أصبحت الثنائية القائمة بين موقفين: موقف يرفض أي غياب عن المشاركة السياسية مهما كانت الأسباب، وموقف آخر يرفض أي تحرك سياسي، ويربط ذلك بخيانة المبادئ وخرق الثوابت.

مِن الإسلاميين مَن يقررون مناهج عملهم السياسي دون رجوع لمرجعية شرعية أو رؤية سياسية شاملة. وأمثال هؤلاء عادة هم الذين يسببون الثنائيات الحادة في فكر المجتمعات والتجمعات

وهناك فئات أخرى من الإسلاميين لا تلتزم أي منهج في تبني المواقف السياسية، ولا يمكنك أن تضعها على موقع ثابت من الخط بين هذين الموقفين، أولئك هم الذين يمتهنون النقد وتصيد الأخطاء والاتهام بالخيانة، فينقدون هذا الموقف لخيانته للمبادئ، وينتقدون ذلك الموقف لعدم مراعاته لظروف الحركة وأبنائها، ولا يشعرون بأنهم يفتقدون في نقدهم

الإنصاف الذي يجب أن يتسم به أي منهج متوازن.

والمنهج العدل في العمل السياسي بالتأكيد ليس في أي من هذي القطبين، لكن هذا الوصف لوحده لا يكفي لبناء عمل سياسي أصيل وفاعل، فلا بد أن يتم العمل على تحديد معالم وعناصر لهذا المنهج من خلال الاجتهاد الذي يبحث الفواصل والأواصر بين الثوابت والمتغيرات، ويقدر قدر الضرورات.

السياسي الإسلامي يشارك في الواقع السياسي ويتابعه، لكن منهجه يزوده بميزان حساس ينبهه عندما يقترب من تهديد المبادئ أو ارتكاب المحرمات

إن السياسي الإسلامي يشارك في الواقع السياسي ويتابعه، لكن منهجه يزوده بميزان حساس ينبهه عندما يقترب من تهديد المبادئ أو ارتكاب المحرمات، ولا يمثل هذا المنهج أولئك الذين يكررون المبادئ في كل المواقف السياسية والتربوية والاجتماعية ...، ولا أولئك الذين يشاركون في الصراعات والتحالفات ويتقلبون بينها لغرض واحد، هو البقاء في الملعب، ويحسبون أن بقاءهم هو الذي يحفظ للحركة بقاءها ومبادئها، ويحمي وجود الأمة وكيانها.

لقد عدنا للسؤال الأول: **هل تطبيق هذا التوازن ممكن؟** يبدو أن هذا المقال لم يضف شيئاً غير طرح الأسئلة.

إن طرح الأسئلة وترتيبها خطوة مهمة نحو الوصول للإجابة، وإذا اتفقنا على هذه الصياغة للمشكلة فإني أرى أن الواقع السياسي في سورية وإقليمها، وفي العالم العربي والعالم حوله، فيه مجالات كثيرة لعمل سياسي إسلامي ملتزم، وبناء منهج هذا العمل يحتاج لاجتهاد المجتهدين في مجالات علمية متعددة، ويحتاج كذلك لتطوير هذا الاجتهاد من خلال التجارب العملية المتعددة للعمل السياسي الإسلامي، سواء عندما تكون الحركات الإسلامية في مجال العمل الشعبي، أو عندما تكون قريبة من الحكم، أو مشاركة في الحكم، أو على رأس السلطة.

لقد دلنا القرآن الكريم على سنة دفع الله الناس بعضهم ببعض، وعلمنا أنه بهذه السنة يحفظ الله تعالى الأرض من الفساد، وباستمرار هذه السنة تبقى الأماكن التي يعبد الله تعالى فيها، أي يبقى للمؤمنين بالله تعالى دور في حفظ أنفسهم وأمتهم والدفاع عن دينهم، وأظن أن الواقع السياسي القائم مثال واضح على سنة التدافع، وبالاجتهاد المخلص يمكننا أن نتعرف إلى مجالات العمل السياسي الملتزم، وبالعمل الملتزم يمكننا أن نعطي الاجتهاد قوة التجربة وامتياز الإبداع.

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

خلف من أنت؟

الاتباع: طرق الغواية أو الرشاد

مصعب الإبراهيم

خلق الله الخلق على صور وهيئات لا يملكون لها تبديلا، وبما يوازي ذلك فقد طبعهم على سلوكيات وغرائز لا يملكون حيالها إلا الانقياد والتسليم ولم يكن من حكمة الشارع معاكسة هذه الفطر بل تهذيبها وتزكيتها.

وكان من جملة ما انجبل عليه ابن آدم ميله للاتباع، وقد تباين الناس في إشباع هذه الغريزة، فشرقوا في ذلك وغربوا، وتفننوا وابتدعوا، وبطبيعة الحال أصابوا وأخطؤوا.

ولو تتبعنا إزاء ذلك سلوك الشارع الحكيم وموقفه حيال كل مسلك سلكوه نجده يأمر حينا وينهى حينا، ويمدح حينا ويذم حينا، كل ذلك بما يتطلبه تهذيب هذه الغريزة، وجعلها تخدم أكمل غاية وأسمى هدف.

فمن تعدد طرق الخلق في الاتباع ذهاب كثير منهم لاتباع الشيطان بوسوسة منه وضعف منهم، وهنا نجد القرآن الكريم يقف ناهياً في البداية «يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان» [النور: ٢١]، ومحذراً ومرهباً «لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين» [الأعراف: ١٨].

ومن ذلك سلوك الكثيرين منهم طريق اتباع الهوى، ويأتي الشرع مبيناً ضلال ذلك، وأنه سبب رفض الحق والتمادي في والباطل «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» [القصص: ٥٠].

وذهب البعض منهم لاتباع الظنون والأوهام، فوقف القرآن منكراً «وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئا» [يونس: ٣٦].

فَقدُ القدوة، والتيه الفكري والحضاري، من أسباب اتباع الطواغيت وأصحاب النفوذ، والانقياد الأعمى وراءهم

ونجد من الأمم من أصر على اتباع الآباء والأجداد فيما كانوا عليه دون تمييز الصواب من الخطأ، والسمين من الغث، فقال مستنكراً: «أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون»؟!! [البقرة: ١٧٠].

ونجد منهم من قادته فطرته تلك لاتباع الأمم السابقة والسير خلفها بخيرها وشرها، بعلمها وجهلها، برقيها وانحطاطها، فنطق الوحي منبهاً على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا: يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» [البخاري].

وكان من أنواع هذا الاتباع المنكر والانقياد الأعمى اتباع الناس للطواغيت وانقيادهم لأصحاب النفوذ والجبروت من المخلوقين، وهذا شر عظيم وبلوى عامة في تاريخ البشرية زماناً وفي شتى بقاع الأرض مكاناً، وكان لها أسبابها ومسوغاتها التي

تحمل صاحبها على نهج هذا السلوك المشين، ونذكر من جملة هذه الأسباب على سبيل المثال لا الحصر:

١) الجهل لدى أولئك الأتباع، وانعدام العلم والمعرفة، وما دام الجهل ظلاماً فلا بد من قائد في الظلام.

٢) انعدام الطموح وفقد الهدف الأعلى والغاية السامية النبيلة، وهو نتاج حتمي لانعدام العلم والمعرفة.

٣) فقد البوصلة والقدوة، والعيش في التيه الفكري والحضاري، والجهل بطرق الاتباع المحمود المطلوب.

٤) يؤمن هذا الاتباع لأصحابه أسهل الطرق وأقصرها لتحقيق بقية الشهوات وإشباع باقي الغرائز، ومنها حب المال وحب الجاه وحب الشهرة وحب المنصب...

٥) ممارسة الطواغيت لسطوتهم، وحمل الناس على اتباعهم ترغيباً وترهيباً، ومن ذلك ماقاله فرعون لسيدنا موسى عليه السلام: «لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين» [الشعراء: ٢٩]، وقوله لقومه: «ما أريكم إلا ما أرى» [غافر: ٢٩].

ولا يخفى على عاقل ضلال هذا المسعى ومدى غواية سالكه، ودنو همته، وتفاهة قصده وغايته، وإن كانت قد عمت به البلوى وانقادت بذلك شعوب بأكملها وأمم بكثرتها إلا أن القرآن الكريم يصور لنا نهاية هذا الاتباع البغيض يوم المحشر فيقول: «إذ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين اتَبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب» [البقرة: ١٦٦]. وذلك الفرعون الطاغية «يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود» [هود: ٩٨].

وكما بين لنا الله تعالى ضلال تلك المسالك والطرق في الاتباع، بين لنا حقيقة الاتباع الصحيح، وماهية الانقياد المبصر المستنير ألا وهو الانقياد لهدي الله تبارك وتعالى وتحري مرضاته في كل سلوك «أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله» [آل عمران: ١٦٢]. فرضوان الله تعالى غاية عظمى، ولبلوغها سبل ووسائل منها اتباع هدى القرآن الكريم «فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون» [البقرة: ٣٨].

ومن وسائل ذلك اتباع الرسل عليهم السلام والسير على نهجهم واقتفاء أثرهم «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» [صحيح]، ويخاطب الله تعالى عيسى عليه السلام بتكريم أتباعه -ونحن منهم- ورفع مقامهم مدى الدهر «وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة» [آل عمران: ٥٥].

أيها الإنسان.. هذه فطرتك التي فطرت عليها، وتلك سبل الغواية، وهذه سبل الرشاد، فانظر خلف من تسير، ولمن ترغب بالانقياد

ومن سبل الرشاد أيضا اتباع نهج الصالحين، من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه» [التوبة: ١٠٠].

وأخيرا أيها الإنسان.. هذه فطرتك التي فطرت عليها، وتلك سبل الغواية، وهذه سبل الرشاد، فانظر خلف من تسير، ولمن ترغب بالانقياد.

«وهديناه النجدين» .. [البلد: ١٠]

ليختار أيها شاء، ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي النجدين. والنجد الطريق المرتفع. وقد اقتضت مشيئة الله أن تمنحه القدرة على سلوك أيها شاء، وأن تخلقه بهذا الازدواج طبقاً لحكمة الله في الخلق، وإعطاء كل شيء خلقه، وتيسيره لوظيفته في هذا الوجود.

وهذه الآية تكشف عن حقيقة الطبيعة الإنسانية؛ كما أنها تمثل قاعدة «النظرية النفسية الإسلامية».

[سيد قطب: في ظلال القرآن]

كلمات
في النقد وحرية التعبير

سليم عبد القادر

الحمد لله، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه.

أحد المفكرين قال: الدول تقوم بالعدل، وتستمر بالنقد..

إلى ما قبل ثورة (النت)، كان الرجل إذا أراد أن يعبر عن فكرة يحتاج إلى منبر، وكانت الكتابة في صحيفة مثلا، تحتاج إلى مواصفات في الكاتب، منها: جمال الفكرة وقوتها، واتساقها مع منهج الصحيفة، والتزامها أدب القول وسلامة اللغة.. إلى آخره.. من ثم، فلم يكن المنبر متاحا إلا للـ(كبار).

اليوم، في عالم (النت)، أصبحت المنابر فوق الحصر، وصار عدد الكتّاب قريبا من عدد القراء.. واختلط الغثّ بالسمين، فالشبكة العنكبوتية تفتح أبوابها لكل طارق، وصرنا نقرأ على بعض المواقع ألوانا شتى ومستويات متباينة في الفكر والتعبير..في هذا السياق نود الإشارة إلى بعض النقاط التي نراها مفيدة وضرورية..

١- إن حق التفكير، وحرية التعبير، من الحقوق المقدسة لكل إنسان. بل إن الإسلام قد ثبّت دعاوى المشركين والمنافقين وأقوالهم، وردّ عليها بالحجة. لا بالمنع أو القمع..

حرية التعبير، لا تعني أن يقول المرء ما يحلو له ولو أساء إلى الآخرين بغير حق، أو افترى عليهم.. فإن فعل استخف به الناس، واستصغروه، وآذى نفسه وفكرته قبل أن يؤذي غيره..

٢- هناك فرق بين حرية التعبير، وفوضى التعبير، وحرية الإساءة إلى الآخرين، كأشخاص أو هيئات أو أفكار..

٣- الكلمة مسؤولية، ونقلها كذلك.. إن إتاحة الفرصة أمام حرية التعبير، لا تعني أن يقول المرء ما يحلو له ولو أساء إلى الآخرين بغير حق، أو افترى عليهم.. فإن فعل استخف به الناس، واستصغروه، وآذى نفسه وفكرته قبل أن يؤذي غيره.. فمن كان مرجعه الإسلام، لا ينبغي أن يغيب عن خاطره قول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: (رُبَّ كلمة يقولها المرءُ لا يُلقي لها بالا يهوي بها في جهنّمَ سبعين خريفا)، وقوله: (هل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم)... ومن كان من الإخوان فليذكر أن من مبادئهم تجنّب التجريح بالهيئات والأشخاص.. ومن كان مرجعه الغرب وحضارته، فإن اتهام أحدهم رجلا أو هيئة بباطل هناك، قد يجره إلى محاكم وتعويضات لاطاقة له بها.

٤- في النقد خاصة، ينبغي ملاحظة الملابسات والظروف المصاحبة لواقعة ما.. أما النقد العام المنفلت من ضوابط المنطق، فلا قيمة له إلا كلون من التنفيس، وربما التعويض عن العجز والعطالة.. من السهل أن ننتقد الشعب

السوري على سكوته على ظلم الطغاة مدة نصف قرن، ونهمل كثيرا من المعادلات .. من السهل أن ننتقد مواقف الإخوان في الثورة ونتصور أنهم قادرون على فعل كل شيء وأنهم لا يفعلون.. من السهل أن ننتقد موقف مصر من الثورة السورية، دون مراعاة لاعتبارات كثيرة، أولها أنها خارجة للتو من ثورة صعبة، وأنها ما تزال تلملم جراحها... من السهل أن ننتقد الإخوان وحماس وهذه الشخصية وتلك الهيئة.. لكن النقد ما لم يكن موضوعيا ملما بالظروف واعيا بالمعادلات الدولية والإقليمة سيظل نقدا رغائبيا، لا وزن له ولا قيمة.

٥- ليس من حرية التعبير أن يوافق الناس على ما أطرحه، وإلا فهم ضد حرية التعبير.. وضد الديمقراطية.. مثل هذا الفعل هو لون من (الترهيب الفكري) ولو ظنه صاحبه حرية تعبير.

٦- جدير بنا، ونحن نعبّر عن أفكارنا، ألا ننسى أحجامنا وأحجام الآخرين، وألا نتلذذ باصطياد ما نظنه (أخطاء) الكبار.. سمعت من صديق كان حاضرا أحد دروس الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، أنه سُئل عن الشهيد سيد قطب فأثنى عليه خيرا، فقام أحدهم وقال: ولكنه كان حليقا ياشيخ!؟ فأجابه الشيخ: سيد قطب كان حليقاً ولكنه كتب الظلال، وقدم نفسه في سبيل الإسلام.. وأنت لك لحية كبيرة، فماذا قدّمت للإسلام؟!..

ما الغاية من تمرير الرسائل الرديئة؟ لنفرض أن أحد التافهين يسبني أو يسيء إلى مبادئي، فهل من الحكمة تحويل هذه الرسالة لي؟ وإذا كان رجل يسب أبي في حي آخر، فهل من الذوق السليم أن تجرني من يدي إلى مكانه لأسمع شتيمته بأذنيّ فتكدّر صفوي ؟!

في مجالات الحياة كلها هناك كبار: في الفكر والأدب والعلم والسياسة والفن والرياضة .. انتقاد هؤلاء لا يرفعنا كثيرا.. والسؤال الحق: ماذا فعلت أنا؟

إننا لا ندعو إلى منع النقد أو التعبير، ولكن إلى مسؤوليته وموضوعيته. وأن يكون في حدود علمنا وأدب ديننا. وقد كان أحدهم يجلس في مجلس أبي حنيفة والشيخ يحترمه، ويلم رجله توقيرا له، حتى حكى فأظهر جهله، فقال الإمام قولته التي ذهبت مثلا: آن لأبي حنيفة أن يمدَّ رجله.

٧- أودّ ، أخيرا، أن أشير إلى ظاهرة انتشرت في النت، وهي تحويل الرسائل الجيدة والرديئة .. أما الجيدة فهذا عمل مشكور مأجور، وأما الرديئة فما الغاية من تحويلها؟ لنفرض أن أحد التافهين يسبني أو يسيء إلى مبادئي، فهل من الحكمة تحويل هذه الرسالة لي؟ أليس هذا أشبه بالنميمة؟ وإذا كان رجل يسب أبي في حي آخر، فهل من الذوق السليم أن تجرني من يدي إلى مكانه لأسمع شتيمته بأذنيّ فتكدّر صفوي ؟! قد تقول: يجب أن نعلم ما يقوله الناس عنا.. حسنا، هذا صحيح إذا كان الناقد ذا رأي وقيمة علمية أو سياسية، أما إذا كان فارغا حاسدا، أو جاهلا مكابراً، فإن متابعته إضاعة للوقت، وتعكير للمزاج. أرى أن الرسائل المحولة ينبغي أن تحوي علما أو رأيا أو موقفا أو أي شيء مفيد غير اللغو، و(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون).. إضافة إلى المسؤولية الدينية والأخلاقية.. وفي قصة الإفك عتاب شديد من الله (إذْ تلقّوْنه بألسنتكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هيّنا، وهو عند الله عظيم)..

حرية التعبير لا تنفصل عن كون الكلمة أمانة ومسؤولية .. وهذا هو المعنى اللائق بمصطلح: حرية التعبير..

المنابر في عالم (النت) فوق الحصر، وعدد الكتّاب قريب من عدد القراء

من فتاوى المرحلة

لجنة الفتوى
في رابطة العلماء السوريين
islamsyria.com

السكن في بيوت تركها أصحابها

السؤال:

فضيلة العلامة الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: السوريون الذين هُجّروا من بيوتهم إلى أحياء أخرى من نفس المدينة أو إلى مدن أخرى، وليس معهم مال ولا يجدون لأنفسهم ولعائلاتهم مأوى سوى المنازل التي تركها أصحابها وفرّوا منها، أو التي يعيش أصحابها خارج البلد. هل يجوز لهم أن يدخلوها بغير إذن أهلها ويُقيموا فيها ريثما تأمن مناطقهم ويعودوا إلى بيوتهم التي فارقوها، على أن لا يستبيحوا تلك البيوت ولا يستعملوا منها إلا ما لا غنى عنه للحياة، من أرض وسقف ووطاء وغطاء وكهرباء وماء؟

أجاب فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي:

لا شك أن السكن الشخصي حاجة من حاجات الإنسان الأصلية، بل ربما كان ضرورة من الضرورات، كما امتنَّ الله على عباده بقوله: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» [النحل:٨٠]. وقد قرن الله تعالى بين قتل الأنفس والخروج من الديار فقال: «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» [النساء:٦٦].

وعلى هؤلاء الإخوة الذين خرجوا من بيوتهم فرارا من القتل أو الاعتقال أن يسعوا إلى تأمين مآوٍ لهم بإذن أصحابها من أقاربهم أو جيرانهم أو من أهل الخير ممّن يقدِّم لهم جزءا من دارهم.

ويجب على الشعب السوري أن تشيع فيهم روح التضحية والإيثار والمروءة، ويواسي بعضهم بعضا، لأن الأمة في خطر ومواجهة أحداث كبيرة.

وندعو أصحاب البيوت الفارغة التي تركها أصحابها أن ينسقوا مع إخوانهم من أجل إيوائهم إليها. فالحجارة والمال ليسا أهم من إيواء إخوانهم المهجَّرين، وتأمينهم من الخوف والجوع، وسترهم وحمايتهم من تسلط الظالمين عليهم .

يجب على الشعب السوري أن تشيع فيهم روح التضحية والإيثار والمروءة، ويواسي بعضهم بعضا، لأن الأمة في خطر ومواجهة أحداث كبيرة.

ومن استطاع أن يقيم في مكان عام كالمدارس والمكاتب والمخيمات إن توفرت لهم فليس لهم أن يدخلوا تلك البيوت.

فإذا انقطعت بهم السبل فلهم أن يدخلوا تلك البيوت بعد الاتِّصال بأصحابها وأخذ الإذن منهم، فإذا لم يجدوا سبيلاً إلى الاتصال بهم واستئذانهم أصبحوا مضطرين، والقاعدة الأصولية تقول: (الضرورات تبيح المحظورات). وهذه القاعدة مأخوذة من قول الله تعالى: «فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [البقرة:١٧٣].

والضرورة تقدر بقدرها، ومن شروط هذه الضرورة :

أن يستأذنوا رجال الأحياء الثقات، أو المسؤولين الشعبيين عن الثورة ويعلموهم بضرورتهم، لدخول إلى تلك البيوت.

وأن يكون هؤلاء الذين يستبيحون تلك البيوت لأنفسهم ولعائلاتهم من المشاركين في الجهاد والثورة ضد الظلم والطغيان، أو ممَّن مسهم أذى من السلطة الغاشمة.

وإن تحققت هذه الشروط فعليهم أن يسكنوا في **غرفة من البيت، فمن كفته غرفة لا يجوز له أن يستعمل غرفتين**، وعليهم أن يستعملوا أغراض البيت بقدر ولا يتوسعوا في الضرورة، وأن يحفظوا الأشياء المهمة من نقود وذهب وقطع ثمينة في البيت بكل ما يستطيعون، وأن يقيموا في تلك البيوت بقدر المدة الممكنة. وكل هذه القيود في حال الضرورة الكبرى.

وأحذر من احتكار السلع ورفع إيجارات البيوت في مثل هذه الأزمة التي تمر بها سوريا رغبة في الحصول على المكاسب الدنيوية، فإن ذلك خذلان لإخوانهم.

والأوْلى أن تقدم الخدمات الإنسانية طواعية ومجانا نصرةً لإخوانهم، وإذا احتاج من يقدم الخدمات إلى مال فلا يأخذ أكثر مما يسدُّ به حاجته.

وأسأل الله سبحانه أن ينصر إخواننا في سوريا على من بغى عليهم نصرا عزيزا، ويفتح لهم فتحا مبينا، ويهديهم صراطا مستقيما، ويؤمِّنهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم، ويكشف الغمة عنهم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

غنيمة السلاح (أمانة أم ملك)؟

السؤال:

السلاح الذي يغنمه الثوار هل يجوز بيعه أم هو أمانة عندهم؟

أجابت لجنة الفتوى في رابطة العلماء السوريين:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد:

فإن السلاح الذي يحمله عناصر الجيش الأسدي ويستخدمه في قتل الشعب السوري هو سلاح تم شراؤه بأموال الشعب، فهو ملك للشعب، وفي حال غنم الثوار هذه الأسلحة فإن عليهم أن يردوها إلى الشعب بأن يستخدموها فيما فيه مصلحة الشعب والدفاع عنه، ولا يجوز لهم بيعها.

فالواجب أن توزع الآن على الكتائب الجهادية بقدر احتياجها وبما يحقق مصالح الشعب.

فإن بقي من هذه الغنائم والأسلحة شيء فإنها تكون أمانة عند من يغنمها حتى تضع الحرب أوزارها وتنتهي المعارك، ويجب عند ذلك إعادة هذه الأسلحة إلى عهدة القوات المسلحة لأنها اشتُريت من الأموال العامة للأمة، **ولا ينطبق عليها مفهوم الغنيمة الشرعي**، ومن يأخذ منها شيئا لنفسه فإنه يكون غالاً، والغلول: هو الخيانة في المغنم بأن يأخذ من الغنيمة لنفسه قبل أن تقسم، والله سبحانه يقول: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ» [آل عمران: ١٦١]، وعن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا فُلاَنٌ شَهِيدٌ فُلاَنٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «كَلاَّ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ».

هذه الغنائم لا ينطبق عليها مفهوم الغنيمة الشرعي، ومن يأخذ منها شيئا لنفسه فإنه يكون غالاً. يقول الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ»

مهاجمة حواجز جيش النظام

السؤال:

هل يجوز مهاجمة حواجز جيش النظام، ومن المعروف أن هناك من الذين يقفون على الحواجز من أهل السنة، وهذه الحواجز بعضها يقوم يوميا بإطلاق الرصاص على البلدة أو أنه يقوم بإزعاج مواطني البلدة واعتقالهم أو القصف من الحواجز. وهل المطلوب التأكد من عناصر الحواجز حتى لا يتم استهداف البريء منهم (وهذا الأمر مستحيل). يرجى من عنايتكم الاهتمام ولكم جزيل الشكر.

أجابت لجنة الفتوى في رابطة العلماء السوريين:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن النظام المجرم في سوريا قد تفنن في إرهاب الناس وتخويفهم، وهو يحاول بشتى الطرق أن يقمع ثورتهم المباركة، ومن أساليبه في ذلك: إقامة الحواجز التي هي محل السؤال.

إن كل من يقاتل مع النظام -بعد كل هذه المدة وكل هذه الجرائم التي يرتكبها النظام- يعتبر هدفا مشروعاً للمجاهدين الثوار في سوريا، فالله سبحانه وتعالى يقول: «وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)[البقرة: ١٩٠] فمقاتلة النظام تستلزم قتل جنوده، ولا يطالب المجاهدون بترك تلك الحواجز لأن فيها بعض الجنود من أهل السنة.

وهذه الحواجز تقوم بالقتل والسلب والنهب وهتك الأعراض ونشر الخوف بين الناس، وعناصر الجيش المكرَهون من أي طائفة كانوا لا يبرِّر لهم الإكراه -كما يزعم البعض- عدوانهم على الآمنين وترهيبهم وقتلهم حفظا على حياة أنفسهم، وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم بدفع المعتدي ولو أدى ذلك إلى قتله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله إلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أرأيتَ إن جاء رجل يريد أخذ مالي. قال: «فلا تعطه مالك». قال: أرأيتَ إن قاتلني. قال: «قاتله». قال: أرأيتَ إن قتلني. قال «فأنت شهيد». قال: أرأيتَ إن قتلته. قال: «هو في النار» [مسلم].

ولو أمكن قبل مهاجمة هذه الحواجز تحذير عناصرها ومطالبتهم بالاستسلام دون أن يفقد المجاهدون عنصر المفاجأة المطلوب في مثل هذه الحالات فهذا أمر طيب، وإن استطاع المجاهدون معرفة مكان المجرمين الكبار في الحاجز فعليهم البدء بمهاجمتهم؛ لأن ذلك مدعاة لاستسلام البقية، فإن لم يمكن شيء من ذلك فلا حرج إن شاء الله على المجاهدين في مهاجمتها وتدميرها حتى لو قتل كل من فيها، لأنها حواجز يأتي منها الضرر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا ضرر ولا ضرار) والقاعدة الفقهية تقول: (الضرر يُزال)، ولأن في إزالتها ترجيح للمصلحة العامة وهي مصلحة عامة المواطنين على المصلحة الخاصة وهي مصلحة المجندين الذين قد يكونون من أهل السنة.

من تعلَّق ...

مصطفى السباعي

من تعلَّق قلبه بالدنيا لم يجد لذَّة الخلوة مع اللّه، ومن تعلق قلبه باللهو لم يجد لذة الأنس بكلام اللّه، ومن تعلق قلبه بالجاه لم يجد لذة التواضع بين يدي اللّه، ومن تعلق قلبه بالمال لم يجد لذة الإقراض للّه، ومن تعلق قلبه بالشهوات لم يجد لذة الفهم عن اللّه، ومن تعلق قلبه بالزوجة والولد لم يجد لذة الجهاد في سبيل اللّه... ومن كثرت منه الآمال لم يجد في نفسه شوقاً إلى الجنة.

واقع الشباب بين الثورة والجماعة

رؤية من داخل الإخوان المسلمين

حسان الصفدي

في أحداث الثمانينيات كان الشباب هم مفجرو الأحداث ومحركوها ووقودها في الوقت نفسه. ومن المعلوم أن جماعتنا -جماعة الإخوان المسلمين في سورية- بذلت الجهد لتحويل «الأحداث» إلى «ثورة» يشارك فيها الشعب كله، لكن الظروف الموضوعية، وطريقة إدارة الأحداث (من جميع الأطراف) أبقت الأمور في إطار «صراع» بين الجماعة وبعض من انضم إليها وبين النظام. وكان من نتيجة ذلك أن أضحت الجماعة خارج الوطن، وراهن النظام على ذوبانها في الخارج بمرور الوقت وجفاف الموارد والاختلافات، وعلى عامل الاستئصال في الداخل.

تمكنت الجماعة -بفضل الله وعونه، من المحافظة على كيانها، لكنها لم تتمكن من تجديد الدماء في عروقها، فبقي «الشباب» الذين يقومون على إدارة مؤسساتها حتى أضحوا «الشياب» الذين يديرون دفتها حين فاجأهم ربيع الثورات العربية وهم في خريف العمر.

كانت الأجيال الجديدة التي كبرت أو نشأت في الغربة تعيش صراعا داخليا بين انتمائها الفكري والتربوي للجماعة، وبين عزوفها عن الالتزام التنظيمي فيها، حتى قاربت عملية الانتساب للجماعة على التوقف، وبعد قرابة ثلث قرن من الغربة أضحى الهرم العمري للجماعة معكوسا، مما كرّس استمرار «الجيل القديم» في البقاء على قمة المسؤولية، وزاد من «هروب» الشباب من العمل مع الجماعة.

وهنا لا بد من ذكر سبب آخر لابتعاد

> كانت صورة الإخوان قبل الثورة: صلات بالوطن منقطعة.
> شباب متردد أو مبتعد.
> تكلس مؤسسات الجماعة وشيخوخة قادتها والعاملين فيها

الشباب، وهو رغبتهم في العودة إلى الوطن أو على الأقل النزول إليه. لكن هذا الأمر لم يكن ضمن خطة للجماعة لإعادة تواصلها مع الداخل، بعد أن انقطعت علاقاتها بالمجتمع السوري، وإن أقامت -في مرحلة بشار الأسد- علاقات مع بعض أطراف وشخصيات المعارضة الداخلية.

الصورة إذن كما يلي: صلات بالوطن منقطعة. شباب متردد أو مبتعد. تكلس مؤسسات الجماعة وشيخوخة قادتها والعاملين فيها.

وانفجرت الثورة.. يقود مظاهراتها شباب لم تكن الجماعة تعمل لهم أي حساب، فكانت «مفاجأة» رغم ما سبقها من إرهاصات في أقطار أخرى، وكان التردد والحيرة حيال الدور المطلوب من الجماعة. وهنا سبق الشباب جماعتهم فانطلقوا في فضاء التواصل الاجتماعي مع أقرانهم في سورية، وبدؤوا بجمع التبرعات والدعم، والقيام بالمظاهرات والاعتصامات دون أن ينتظروا «تعليمات» الجماعة التي بلورت بعد ذلك موقفها وبدأت تنسق وتدعم وتدفع الشباب للعمل، وتشركهم في مجالات واسعة لخدمة الثورة والمشاركة فيها، كما شجعّت العودة إلى صفوف الجماعة أو الانتساب لها، وهذا ما صار ملحوظا في الفترة الأخيرة.

لكن يبقى السؤال قائما: هل «سيقتحم» الشباب «معاقل» مؤسسات الجماعة؟

أدعو الله أن يعينني على الإجابة في العدد القادم.

يسمعون حسيسها
معايشات سجين تدمريّ ١٩٨٠ – ١٩٩٧
رواية الدكتور أيمن العتوم
صادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت
الطبعة الأولى ٢٠١٢
وقّع المؤلف نهايتها في عمّان – ١٥ / ٩ / ٢٠١٢

صار الرقباء يطلبون منا أن نرفع رؤوسنا إلى أعلى. كنا في السابق نتقن الهيئة التي بقينا نفعلها أكثر من خمس سنين: (راسك بالأرض، وإيديك ورا ظهرك)!! صار علينا اليوم أن نرفع رؤوسنا. في البداية شيء ما في داخلنا رفض ذلك، شيء ما جعلنا نرتبك أمام ذلك ونتلخبط. هل اعتدنا على الذل حتى نسينا أنّ لنا كرامة؟! هل استسغنا المهانة حتى صارت العزة غريبةً تحتاج إلى مِران ودربة؟! أم أنه وقر في قلوبنا أن رفع الرأس ليس من حقوقنا في هذه المقبرة الجماعية التي نقضي فيها زهرة شبابنا!!!

كانت الشرطة تريد من وراء رفع رؤوسنا أن تزيد من إذلالنا وسحق ذواتنا!! وكانت تبغي إلقاء مزيد من كتل الإرهاب والترويع في أذهاننا. لقد كان الصفع والرأس مرفوع أشد وأوجع. وكان يحدث أن يؤدي اللكم ببقضة اليد أو الضرب بالهراوة في مثل هذه الحالة إلى كسر الفك. وكم من محبوسٍ دخل بعد حفلة التعذيب وقد سقط حنكه وفقد القدرة على الكلام أو الأكل لشهور وشهور!!

لم يتوقف الإعدام إلا ليطل برأسه من جديد. أطول فترة توقّف فيها رفع الأجساد على أعواد المشانق لا تزيد على خمسة أشهر. اثنا عشر عاما مرّت كأنها اثنا عشر قرنا، كان الإعدام فيها يتم بصورة شبه يومية.

لم يتوقف الإعدام إلا ليطل برأسه من جديد. أطول فترة توقّف فيها رفع الأجساد على أعواد المشانق لا تزيد على خمسة أشهر. اثنا عشر عاما مرّت كأنها اثنا عشر قرنا، كان الإعدام فيها يتم بصورة شبه يومية. ومهجعنا الذي نعيش فيه تبدّل عبر أكثر من عقد أكثر من عشر مرات. وحينما كان عدد النزلاء يخف لهذا السبب كانوا يقومون بـ«فرط» المهاجع، وفرط المهجع يتم بتوزيع المهجع الذي نقص عدد نزلائه إلى النصف على مهاجع أخرى. في مهجعنا فرطوا ما لا يقل عن خمسة عشر مهجعا خلال كل هذه السنوات.. وظل الازدحام في مكان النوم مسيطرا طيلة هذه الفترة كلها تقريبا. وكانت مجموعة «التكبيس» تزاول عملها في كبس النائمين خلال أيام الاكتظاظ، وكلما وفد إلى مهجعنا سجين طويل ذو بنية قوية استبشر «العميد» خيرا، وعيّنه بلا تردد في مجموعة التكبيس. ولم تستقر هذه المجموعة ذات الهدف النبيل على حالها شهرا واحدا؛ كانت تتغير في الشهر مرّة أو مرتين بسبب نقصان أفرادها من خلال مناداتهم في السماعات إلى ساحات الإعدام!

انتظم الإعدام في «تدمر» يومي السبت والأربعاء على الأغلب والأعم، غير أنه كان يحدث أن يتم الإعدام يوم

الخميس، وأحيانا الأحد. وأي يوم آخر كان كذلك مرشحا لأن يرتقي فيه عدد جديد من المساجين فوق أعواد المشانق. وكانت الأسماء غالبا ما تذاع من الساعة السابعة حتى الثامنة صباحا. وحين يأتي يوم السبت أو الأربعاء وتبدأ عقارب الساعة تتجه إلى السابعة كانت القلوب تتجه مع عقارب الساعة ولكن إلى مجاهل الغيب. تختلج. تضطرب. تخفق بسرعة. تبلغ الحناجر. تجفّ الحلوق. ترتعد الفرائص. حتى إذا ما استمرت عقارب الساعة في الدوران ووصلت الثامنة بلغت منازل الخوف والترقب ذروتها، وحين تغادر الثامنة تبدأ النفوس تهدأ رويدا رويدا. وتبدأ القلوب تتخلى عن رجفانها إلى استقرارها. فإذا وصلت الساعة التاسعة ارتحنا كأن جبالا من الهمّ قد أزيحت عن كواهلنا.

ولقد كان الشهداء يستبقون موتهم بإعلانه بأنفسهم!! وكانت قلوبهم تشعر بعقدة الحبل تلتف على أعناقهم قبل أن تلتف في الحقيقة. كانت أرواحنا تسبق أجسادنا باستشعارها النهاية المحتومة.

ظل قسطنطين مواظبا على تسميع القرآن لمريدي الحفظ. هذا الرجل السبعيني كانت ذاكرته تفوق ذاكرة الشباب ممن أتموا حفظهم للتو. ظل سرّه عميقا لم يكتشفه أحد؛ حتى نحن أولئك الذين كنا أقرب الناس إليه لسنوات طوال. كانت حلقته القرآنية تبدأ بعد الفجر مباشرة إلى الفطور، وأخرى تبدأ من بعد التفقد المسائي في الساعة السادسة إلى موعد النوم. لم تفتر عزيمته، ولم تكلّ همته، ولم يفوّت فجرا ولا غسقا في أذكاره. وها هو وليد الذي بدأ معه رحلة الحفظ منذ عشرين شهرا، قد وصل معه إلى الجزء الثامن عشر.

حدث ذلك أمامي في فجر أحد الأيام المسافرة بلا زاد. قرأ وليد عليه من بداية سورة «الحج»، ثم بدأ بسورة «المؤمنون» حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: «ثم إنكم بعد ذلك لميتون» توقف ولم يكمل التسميع. فاستغرب قسطنطين وقال: ما زلت في بداية سورة «المؤمنون» فلم لا تكمل؟! قال له: الآية تقول لي ذلك، والموت أصبح قريبا منّي. فاستاء قسطنطين. مرت بعد ذلك دقائق ثقيلة كأنها تجرّ خلفها كرات من الفولاذ. وفي الساعة السابعة كان اسم «وليد» أول اسم أذيع في الأسماء!

حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: «ثم إنكم بعد ذلك لميتون» توقف ولم يكمل التسميع. فاستغرب قسطنطين وقال: ما زلت في بداية سورة «المؤمنون» فلم لا تكمل؟! قال له: الآية تقول لي ذلك، والموت أصبح قريبا منّي.

ظل قسطنطين بعدها صامتا لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد أكثر من عشرة أيام، أما وليد فقام بهدوء، وشرد ببصره عبر «الشرّاقة» ودعا دون أن يسمع له صوت. ومضى إلى حتفه راضيا مرضيا.

في المساء، كان عدد الذين فقدانهم من مهجعنا ثلاثة. وأصابتنا موجة من الكآبة، وخيمت علينا سحابة من المصائب، وظل وجه المهجع شاحبا ذابلا كأن ماء الحياة اعتصر منه.

ترى الرجلَ النحيلَ فتزدريه وفي أثوابه أسدٌ هصورُ

غسان هو الأخ الشقيق لزهير زقلوطة، وهو أصغر من زهير قليلاً، لعله من مواليد ١٩٥١.

أما زهير فهو البطل الذي أعدمه المجرم «داعية الديمقراطية» رفعت الأسد، شنقاً في سجن القلعة مطلع شباط ١٩٨٠ مع أربعة أبطال آخرين هم: حسني عابو وياسر الخطيب وهيثم شمّاع وماهر جمّال.

وإذا كان زهير طويل القامة، ممتلئ الجسم، رياضياً، فإن غسان ضئيل الجسم، متوسط الطول، نحيل، لا يتجاوز وزنه الستين كيلو غراماً، بل ربما لا يتجاوز الخمسة والخمسين!. لكنه صلب المراس، يتمسك بالمثاليات، فإذا كان معظم الدعاة والمجاهدين يقولون: لئن تعرضنا للاعتقال فلن نبوح بكلمة واحدة ولو قُطّعنا إرْباً إرْباً... ثم إنهم يتفاوتون في مدى ثباتهم وصبرهم، فإن غسان يلتزم بهذا المعنى التزاماً حرفيّاً تاماً.

عندما داهم عناصر المخابرات بيتهم، كانوا يريدون اعتقال أخيه زهير. ولم يكن زهير موجوداً. وحين تفتيش البيت وجدوا بعض ما له علاقة بالسلاح، وكان غسان موجوداً وسألوه عن أخيه وعن هذا الذي وجدوه عند التفتيش، فنفى أي علم له بما سئل عنه. اعتقلوه واقتادوه إلى فرع مخابرات حلب، وبدأ التحقيق معه، تارةً باللين، وأخرى بالشدّة. وتارةً بالتهديد، وأخرى بالضرب بكل الأساليب: بقبضات الأيدي، وبالخيزرانات، وبالحشر في الدولاب، وبالتعذيب بالكهرباء، فضلاً عن الشتائم والبذاءات والتهديد بما يُستحيَى من ذِكره... وهو على جوابه: لا أدري. ليس عندي علم بما تسألون عنه.

وكان المحقق أليف وزّة (نقيب من الساحل) حريصاً على استخلاص معلومات تؤدي إلى اعتقال زهير، ومعرفة أسماء أصدقائه وكل ارتباطاته... وكان ثبات غسان وعناده يزيدان من قناعة المحقق أن لدى هذا الإنسان الموقوف كنزاً من المعلومات لابدّ من الحصول عليه بأي وسيلة.

لذلك لجأ أليف إلى أسلوب فريد! استدعى غسان إلى مكتبه في الطابق الأعلى، وأخرج له ظرفاً باللون الخاكي، مختوماً بالشمع الأحمر، وقال: يا غسان. هذا الظرف جاءنا من إدارة المخابرات العامة، مكتوب عليه: قضية الموقوف غسان زقلوطة/ يفتح بحضوره!

وأمسك أليف الظرف وفتحه أمام غسان وقرأ ما فيه:

(حكم بالإعدام

- يحكم الموقوف غسان زقلوطة بالإعدام رمياً بالرصاص.

- مكان الإعدام حقل الرمي في «جبل السيدة».

- وقت تنفيذ الإعدام: الساعة الثالثة صباحاً، يوم الاثنين ٣٠/ ٤/ ١٩٧٩

- يطلب من الموقوف تقديم وصيته، وتنفذ الوصية.)

أما حقل الرمي فهو معروف لدى كثيرين، فهو بجوار أحد الأحياء في حلب، وكثيراً ما يدرّب فيه طلاب الفتوّة على الرمي.

وأما الزمان فهو الليلة القادمة. أي إن أمام غسان حوالي ١٥ ساعة فقط.

قال غسان: وصيتي هي أن تقدموا هذه البدلة التي ألبسها (الطقم) إلى أهلي، لعلهم يستفيدون منها، فأنا -كما تعلمون- من أسرة فقيرة.

قال المحقق: لن ننفذ هذه الوصية. ولكن إذا كان لك وصية أخرى.

قال : نعم، وجبة من اللحم المشوي والحلويات.

قال المحقق: أما هذه فنعم!.

وأعيد غسان إلى غرفته في السجن، وما هي إلا ساعة حتى جاءت الوجبة، وجعل يأكل

منها ويدعو رفقاء الغرفة إلى الأكل معه!.

وراح بعض رفقائه يشككون في حكم الإعدام، ويقولون: نظن أن الأمر مجرد تمثيلية، ولن ينفّذوا فيك إعداماً ولا غيره، إنما يلعبون بأعصابك. وراح غسان يؤكد لهم أن الأمر جِدّ، وأنه شاهد كتاب الإعدام بنفسه.

وراح السجانون والجلادون يمرّون على غسان، الواحد تلو الآخر: يا غسان سامحْنا!. إننا حين كنا نعذّبك إنما نحن عبيد، ننفّذ أوامر رؤسائنا. ولكن لا نريد بك شرّاً. سامحنا. سامحنا!.

واستمرّ الأمر على ذلك ساعات. ولا تخلو ساعة من مجيء واحد من الجلاوزة أصحاب الشهامة! وهم يعتذرون.

وكان المحقق أحياناً يأتي فيقول: بإمكانك يا غسان أن تتعاون معنا، وأتصلُ عندئذ بالإدارة من أجل إلغاء حكم الإعدام. فيقول غسان: لا تفعل. إنها الفرصة التي كنت أنتظرها طوال حياتي. إنني ما زلت أتمنى الشهادة، وقد جاءت، فلن أضيّعها!.

ويعود المحقق خاسئاً ذليلاً أمام هذا الجبل الشامخ.

وفي الساعة الثانية ليلاً، وقد بقي لتنفيذ الحكم ساعة واحدة، جاء بعض الجلاوزة واقتادوا غسان، ووضعوا القيد في يديه، وأركبوه في سيارة اللاندروفر، ومعه المحقق وجلاوزة آخرون، ومع المحقق جهاز لاسلكي.

وانطلقت السيارة باتجاه حقل الرمي، وعادت المساومات: «يا غسان، بإمكانك أن تتعاون معنا، ونتصل بالإدارة لإلغاء حكم الإعدام. إنك ما تزال في مقتبل العمر، وفي ريعان الصبا، وأهلك بحاجة إليك. حرام عليك أن تضيّع حياتك. تعاون معنا وتنجو من الإعدام...»

ويكون ردّ غسان:

«إنها الفرصة السانحة لنيل الشهادة. لا ينبغي لي أن أضيّعها. لطالما تمنيتُ أن يختم الله لي بالشهادة. و لتكن خاتمة حياتي النطق بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله. محمد رسول الله».

ويشعر المحقق بالصَّغار والقماءة، فهو كالصرصور والجُعَل أمام أسد هصور.

وتقترب السيارة من حقل الرمي ولم يبق بينها وبينهم إلا نحو مئتي متر، ويتصل المحقق باللاسلكي ثم يتوجه إلى البطل: هنيئاً يا غسان، لقد كُتب لك عمر جديد، فها هو ذا رئيس إدارة المخابرات العامة يتصل بي باللاسلكي ويطلب وقف الحكم!.

فيقول غسان: حسبنا الله ونعم الوكيل!. لقد كنت أتمنى أن لا يحرمني الله من أن أُقتل شهيداً!.

وتعود السيارة بغسان والفئران إلى الفرع.

وفي اليوم الثاني يتم نقل مجموعة من الموقوفين من فرع مخابرات حلب، إلى الفرع الداخلي بدمشق، يتم نقلهم جميعاً بالباص، إلا غسان فينقل بسيارة صغيرة، ومعه النقيب أليف وزة المحقق الصغير!.

ويصل الموكب: باص كوستر وفيه اثنا عشر معتقلاً، وسيارة صغيرة فيها البطل غسان والمحقق أليف، ومرافق مسلح. يصل الموكب إلى الفرع الداخلي في شارع بغداد – دخلة الخطيب، في دمشق، مع شروق الشمس. وبعد إجراءات الاستلام والتسليم يوزَّع المعتقلون في غرف السجن وممراته وزنزاناته ويكون حظ غسان أن يحبس في الحمام! تُربط يده بالقيد إلى حنفية «البانيو» طوال الوقت فيحس بآلام القيد والوقوف المتعب فضلاً عن وحشة الانفراد... لكن شعوراً يملأ قلبه فيعوضه عن الآلام كلها، ويشعره بالسعادة كلها: إنه عبد لله، مجاهد في سبيله، يستمد منه الأنس والعون والأمل، ويدعوه أن يختم له بالشهادة التي عاش من أجلها منذ أن تربّى على المبادئ الخمسة:

الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا

وقد سمع الله له ووهبه الشهادة التي كان يطلب.

أما المجرمون وأجراؤهم فقد أعيتهم الحيلة وعجزوا عن استنطاق البطل بكلمة تشفي غليلهم فلم يجدوا بداً من التخلص منه لتكون روحه في حوصلة طير أخضر، وليعودوا هم بالذل والصَّغار.

رحم الله غسان وأخاه زهيراً وأبطال الإسلام أجمعين.

استعباد الحرية

سيد قطب
من كتابه «أفراح الروح»

أحيانًا تتخفى العبودية في ثياب الحرية، فتبدو انطلاقا من جميع القيود: انطلاقًا من العرف والتقاليد، انطلاقًا من تكاليف الإنسانية في هذا الوجود!

إن هنالك فارقا أساسيا بين الانطلاق من قيود الذل والضغط والضعف، والانطلاق من قيود الإنسانية وتبعاتها. إن الأولى معناها التحرر الحقيقي، أما الثانية فمعناها التخلي عن المقومات التي جعلت من الإنسان إنسانا وأطلقته من قيود الحيوانية الثقيلة.

إنها حرية مقنّعة لأنها في حقيقتها خضوع وعبودية للميول الحيوانية، تلك الميول التي قضت البشرية عمرها الطويل وهي تكافحها للتخلص من قيودها الخانقة إلى جو الحرية الإنسانية الطليقة...

لماذا تخجل الإنسانية من إبداء ضروراتها؟ لأنها تحس بالفطرة أن السمو مع هذه الضروريات هو أول مقومات الإنسانية، وأن الانطلاق من قيودها هو الحرية، وأن التغلب على دوافع اللحم والدم وعلى مخاوف الضعف والذل كلاهما سواء في توكيد معنى الإنسانية.